

## التعديدية والمعارضة السياسية

عند أمير المؤمنين علي عليه السلام



ينطلق فهمنا للسياسة في الإسلام من جملة منطلقات، تفرضها البداهة الاجتماعية ويقرها الوضع الإنساني لأي تجمع بشري كحالة صحية لازمة لإنجاح البناء المجتمعي في كل زمان ومكان، ومن هذه المنطلقات، هو التعديدية السياسية، كلازمة مجتمعية لا يمكن تذويبها ولا يقبل الإسلام دمجها تحت عنوان الوحدة بما يحمو التنوع فيها.

والتعددية سنة ربانية فيما خلق الله وأبدع، بدء من تعدد أنواع الجنس الواحد من المخلوقات وانتهاء بالوان والسن البشر فضلا عن طبائعهم وعاداتهم وأنماط تفكيرهم، وهو ما يحتم علينا أن لا نبالغ في خطر التنوع السياسي - ولا نقصد هنا السياسة بمفهومها الحزبي القائم إنما بتعدد وجهات النظر حيال القرارات المجتمعية المهمة - كون هذا التنوع جزء من التنوع الخلقي تبارك وتعالى مبدعه.

وانطلاقا من قوله جل وعلا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات ١٣)، نجد أن الإسلام يدعو بما لا شك فيه إلى الاهتمام بالوحدة الإنسانية من خلال الحفاظ على تنوعها وليس تذويب أنواعها في بوتقة واحدة، وعلى هذا يؤسس لمبادئ عامة في احترام التنوع مهما كان - اثنيا او دينيا او فكريا او عقائديا او قبائليا - باعتباره الحل الحقيقي في صناعة المجتمع المثال وبالتالي الفرد المثال، بعد أن يؤسس -الإسلام -لازمة وضابطة تدفع لمثالية الفرد -ومن خلاله -إلى وهي ضابطة التقوى المشار إليها في ختام الآية الشريفة أعلاه، خصوصا وإنها في مورد خطاب الناس وليس المسلمين أو المؤمنين أو غير ذلك من التوصيفات.

بل واعتبر الإسلام من خلال القرآن

الكريم هذا التنوع، آية من آيات الخالق سبحانه وتعالى، ونعمة منه وفضل، وهو ما يحتاج لتأمل وتدبر وشكران، على ما أنعم (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (الروم ٢٢). والأصل في ضرورة التنوع الإنساني هو الا قهر والا جبر السيبيولوجي، بما في ذلك الإيمان بالله سبحانه وتعالى من عدمه، احتكاما لقاعدة التخيير التي سنها القرآن الكريم في انتهاج المنهج والوجهة التي يريدها المرء (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(البقرة ١٥٦).

ومن باب الا إكراه في الانتماء - بما في ذلك العقدي منه - فقط سمح الإسلام للتنوع السياسي (الجماعاتي) إيمانا منه بأن كل تجمع حتما سيكون له منهجا وخطا ورؤية حياتية وتنظيمية وبالتالي مسلكا وهدفا تسعى لأثباته وتحقيقه.

ومن باب تبيان تطبيقات الإسلام بخصوص التعددية، فإن ما انتهجه خليفة رسول الله ﷺ، الإمام علي عليه السلام في زمن حكومته، من إيمان بالتعددية السياسية، وقبوله للمعارضة السياسية كحق للتعبير عن الراي، خير مثال، حيث عقم التاريخ من أن يذكر لنا بأنه ﷺ قهر أحدا على القبول به حاكما من خلال فرض البيعة مثلا، بل على العكس تماما، قبل ﷺ فريقا من المسلمين على الرغم من عدم مبايعتهم له، ولم يعترض عليهم أو يذكرهم أو يضيق عليهم بموقف ما، بل ومنحهم كل حقوقهم دون نقصان، كموقفه ﷺ مع جماعة الخوارج - على الرغم من علمه بنواياهم - إقرارا منه لمبدأ التنوع السياسي والتعددية السياسية والحق في إبداء الراي، في وقت كانوا يكيلون له شتى أنواع التهم والسباب، بل ويعملون ضده بروح الفريق السياسي الحزبي الهادف

### مقالة

## التعددية والمعارضة السياسية عند أمير المؤمنين عليه السلام

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الأفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

للإسقاط فحسب، في حين نجده عليه افضل الصلاة وأتم التسليم يمنحهم "حقوقهم" بتمامها وكماها إن لم نقل أكثر منها - في وقت لم يذكر لنا التاريخ أن منح خصم لخصمه هكذا حقوق غير الإمام علي عليه السلام لخصومه الخوارج - وهي حق المعارضة السياسية، وحق النفقة من بيت المال، وحق التجمع؛ وهو ما بينه عليه افضل السلام في قوله لهم: "إن لكم علينا أن لا نبداكم بقتال، وأن لا نقطع عنكم الفيء، وأن لا نمنعكم مساجد الله".

ونفس الأمر حصل بينه عليه وبين الخط السياسي المناوئ له بعيد تسنمه إدارة شؤون المسلمين وقبيل حرب الجمل، والمتمثل بطلحة والزبير، حيث قصدا العمرة تقفعا، متوجهين صوب البصرة لتأسيس قوى معارضة مسلحة ضده ﷺ، وعلى الرغم من علمه بذلك مسبقا، ومعرفته بقصودهما الغدرة وليس العمرة - حيث قال ﷺ: "إِنِّي أَذْنْتُ لهما مع علمي بما قد انطويا عليه من الغدر واستظهرت بالله عليهما، وإن الله تعالى سيرد كيدهما ويظفرني بهما"، ولكنه لم يمنعهما من ذلك ولم يلجنهما للحبس أو الإقامة الجبرية!! إيمانا منه بأهمية - بل وبضرورة - التنوع والتعدد في وجهات النظر.

أما في زمن معارضة الإمام علي عليه السلام مرحلة سابقة تسلمه زمام الأمور، وعلى الرغم من كونه الخليفة الشرعي للنبي محمد ﷺ وخير من يمثل منهجه الحق، ورغم إيمانه بحق المعارضة وبالتالي حق التعددية السياسية، إلا أنه لم يمارس دور المعارض كما هو متعارف عليه اليوم سياسيا، حقنا منه للدماء وحفاظا على بيضة الإسلام، لذلك نراه يؤكد على سلمية موقفه من الفرقة التي بخسته حقه الشرعي كتسمة للخط النبوي، فتراه يقول: "لقد عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي - يقصد حق إدارته لشؤون المسلمين من خلال حقه الإلهي في الإمامة كحلقة تنمم المنهج النبوي - ووالله لأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمْتُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، لِنِمَاسِ لَا جَرَّ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزَهْدُا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ

زُخْرُفِهِ وَزِينَتِهِ"، ما يجعل المتتبع منا يكتشف بأن لمعارضته ﷺ، منطلقات قرآنية ونبوية، قوامها ردم الفجوة بين النظرية الإسلامية وتطبيقاتها كما حدث ذلك خلال فترة حكم الخليفة السياسي الثالث عثمان بن عفان وانحياز بهيدا عن النظرية الإسلامية القويمية في إدارة شؤون الأمة.

وعلى هذا، فإن المعارضة العلوية قد اتسمت بجملة سمات، أهمها: -الهدفية الإيجابية، حيث أنها لا تهدف إلى تسنم السلطة، إنما لهدف إصلاحي بحت، لو تحقق لما كان للمعارضة من داعي للبقاء.

-السلمية، فلم يتوسل ﷺ بغير لسانه وتذكيره بالسنة النبوية الشريفة في الحكم.

-العلنية، لأن الأصل في ذلك هو نصح السلطان وتصويب سلوكياته. -الثاني والصبر، حيث أنه لم يقبل بالانقلاب السريع، لئلا يكون له تأثير سلبي، فراح ينتهج الصبر على التغيير والتثوير، فتراه يقول: "وطفقت أرزتي بين أن أصول بيد جذاذ أو أصبر على طخية عبياء، فرايت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجأ"، فكان بذلك صورا لأن معاشيش المسلمين تحتم عليه ذلك، خصوصا وإن الإسلام ما زال خديجا طريا، والأعداء ما زالوا يتربصون به الدوائر.

لذا فإن معارضته ﷺ هدفت إلى الإصلاح كهدف أسمى من التسلط، مع وضوحا وبعدها عن أساليب المخاتلة والتخفي مما يمارسه المعارضون عادة، كما اتسمت المعارضة العلوية بالمنهجية المبدئية كالتزام منه ﷺ للخط القرآني المحمدي في نظم شؤون الأمة، فضلا عما اتسمت به هذه المعارضة الحكيمة من سلمية حفظا للدماء، ناهيك عن أخلاقية الفارس النبيل التي اتسمت بها هو سلام الله عليه بغية وصوله لهدفه النبيل بشكل راسخ وليس عشوائي، وبذلك استطاع ﷺ أن يتحصل على رضا ربه ومن ثم من يقع تحت ولايته، بل وأسر حتى قلوب مخالفيه بما انتهجه من منهج، سواء أيام ما كان معارضا أو

عندما صار حاكما. والخاصة في ذلك، أن الأصل في قبول التعارض السياسي لأي حكومة - حسب الرؤية العلوية - هو بأن السلطة ليس امتيازا يسمح لأفرادها بظلم وبخس الناس حقوقهم، ولا أن المعارضة قوة ضغط يبطش بها المعارض بوسائل ضغطه غير المشروعة على الحكومة لتنزل عند رغباته التي قد تكون فتوية وليس كلية، إنما التعارض السياسي نوعا من أنواع التعددية في الراي، تحتاج لفهم كلي تدارى من خلاله حقوق الناس ومن قبلهم رب الناس جل شأنه، وهذا ما لم يجعل من سلطته ﷺ سلطة انقلابية إنما إصلاحية بحت، ونفس الأمر ينسحب على معارضته التي كانت هي الأخرى إصلاحية بل وسلمية أيضا - كما سبق وأن قرأنا نصه في ذلك - كونه في كلا الدورين كان مصلحا وهاديا، ليس إلا، أي إن سلطته ﷺ كانت تصحيحية إصلاحية لا تحقيقا لملكية أو أمور دنيوية، كما يقول ﷺ: "اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد العالم من منهجه السياسي المبرح، في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك"، في وقت كانت معارضته ﷺ مثل ذلك جسما يقول ﷺ: "وَاللَّهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمْتُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ"، وهو ما يجعل من حياته ﷺ محتدى لأي عامل في السياسة، نظرا لما احتوته من موارد فكرية خصبة يعجز معها حتى النظم السياسي المعاصر مهما تقدم وتحدث، خصوصا وأنه عاصر المتغيرات الفكرية والمجتمعية الكبرى، ما يجعل من منهجه السياسي مرحلة تأسيسية لما بعده، خصوصا للحركات الإسلامية بل والتغييرية أنى كانت في العالم، كونه ﷺ مارس المعارضة بصف النبي الأكرم محمد ﷺ ضد آلة الحكم القرشي المشرك-كما مارس دور السلطة الرشيدة أبان تسلمه الخلافة كحق إلهي ولو متأخرا - دون أن يظلم أو يخس أحدا حقًا، ما يجعل منه رائدا سياسيا منقطع النظير.

المصدر: الإسلام لماذا؟

الأشخاص الأكفاء، بل يشمل أيضاً دعمهم وتطويرهم ليكونوا على أتم استعداد لمواجهة التحديات المستقبلية وإدارة المشاريع الكبرى بنجاح. هذا النهج يساهم في تعزيز الثقة في الحكومة وتحقيق تقدم حقيقي ومستدام للمجتمع بأسره.

■ تعزيز القيم الأخلاقية:

كانت القيم الأخلاقية جزءاً لا يتجزأ من حياة علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن ولايته. كان يعتبر الصدق والأمانة، والإخلاص من القيم الأساسية التي يجب أن تتسم بها سياسات الحكومة وأفعالها.

بناءً على هذه القيم، كانت حكومته تضع النزاهة والأمانة كأساس لتفاعلاتها مع الناس وإدارة شؤون الدولة. الصدق والأمانة في القول والعمل، والإخلاص في خدمة الشعب، كانت تعزز الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتعزز الانضباط الاجتماعي والسلام الداخلي.

تعزيز القيم الأخلاقية يعني تعزيز السلوكيات الإيجابية والمسؤولية الفردية والجماعية، مما يؤدي إلى بناء مجتمع يتسم بالتضامن والعدل والتقدم المستدام. يعزز هذا النهج من روح التعاون والتعاطف بين أفراد المجتمع، ويساهم في تحقيق رؤية مستقبلية مشرقة ومستقرة للأجيال القادمة.

■ التشاور والمشاركة:

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان معروفاً بحكمته وعدله، وأحد أبرز جوانب قيادته الحكيمة كان حرصه على التشاور مع أصحابه وأهل الخبرة في الأمور المهمة. هذا النهج في القيادة لم يكن مجرد إجراء شكلي، بل كان يعبر عن فتاعة عميقة بأن التعاون والتشاور يساهمان في اتخاذ قرارات أكثر دقة وصواباً.

■ النتيجة

فاعتمادا على هذه القيم، يمكن لأي حكومة أن تسعى لتعزيز التنمية المستدامة وتعزيز العدالة الاجتماعية، مما يساهم في رفع المجتمع إلى مستوى أعلى من الازدهار والتطور. فواقعة غدِير خم تقدم نموذجاً إلهامياً ومثالاً للتشاور الفعال والمشاركة الشاملة، حيث تعكس قيم العدل والمساواة والاستماع إلى آراء الجميع في صنع القرارات.

### شعر وقصيدة



•حسان بن ثابت الأنصاري

يَنادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُم

بَحْمٌ وَأَسْمَعُ بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا

وقد جاءه جبريلُ عن أمرِ ربِّه

بأنَّكَ معصومٌ فلا تكِ وانِبا

وبلَّغَهُم ما أنزلَ اللهُ رَّبُّهُم

إليكِ ولا تخشى هناكِ الأعاديَا

فقامَ به اذ ذاكَ رافعَ كَفِّه

بكفِّ عليٍّ معلنٌ الصوتَ عاليَا

فقالَ: فمنَ مولاكمُ ونبيِّكم؟

فقالوا... ولم يبدوا هناكِ التعاميا

إلهكِ مولانا.. وأنتَ نبيُّنا

ولم تلقَ ممَّا في الولايةِ عاصيا

فقالَ له: قُمْ يا عليُّ فإنني

رضيتُك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنتَ مولاهُ فهذا وليُّه

فكونوا له أتباعَ صدقي مواليا

هناكَ دعا: اللهمَّ والي وليِّه

وكُنْ للذي عادى علياً مُعاديَا

فيا ربَّ فانصرْ ناصريه لنصرِه

إمامَ هدىٍ كالبدرِ يجلو الدياجيا



نرحب بأراء القراء الأعزاء

عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444@gmail.com